مع هذا يبقى الكتاب انجازاً ضخماً كبداية تنظيمية، بل يمكن القول ان الذين جاءوا من بعده لم يستطيعوا إضافة الكثير إلى ما قاله صاحب «الكتاب».

٢ ـ ابن السرّاج:

هو أبو بكر محمد بن السريّ[١]، كان أحدث أصحاب المبرد سناً مع ذكاء وفطنة، وكان المبرد يقربه، فقرأ عليه كتاب سيبويه، وعني إلى جانب ذلك بدراسة الموسيقى فشغلته عن النحو، ثم رجع إلى الكتاب ونظر في دقائق مسائله وعوّل على مسائل الأخفش والكوفيين، وصنف كتاب الأصول الكبير وجعله تقاسيم على طريقة المناطقة، قال له أحد تلاميذه وهو يلقي بعض فصول هذا الكتاب أنه أحسن من كتاب المقتضب للمبرد أستاذه، فبادره بقوله: لا تقل هذا فانما استفدنا ما استفدناه من صاحب المقتضب وأنشد[٢]:

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وكان اجتماعياً يحب الناس، له صلات صداقة مع كبار علماء عصره ولا سيما المقرىء الكبير ابن مجاهد[٣].

وكانت فيه دقة حس ورقة شعور، يقال انه جاءه يوماً بني صغير له فأظهر من العطف عليه ما جعل أحد جلسائه يسأله أتحبه أيها الشيخ؟ فقال متمثلاً:

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة جـ ١ ص ١٠٩، وابن النديم: الفهرست ص ٩٨ والسيرافي: طبقات اللغويين والنحويين ص ١٠٨، وياقوت: معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٩٧.

(٢) البيتان لعدي بن الرقاع وقبلهما:
وعما شجاني أنني كنت نائماً أعلّل من فرط الكرى بالتنسم
إلى أن ودعت ورقاء في غصن أيكة تردّد مبكاها بحسن الترنم
الشريشي: شرح المقامات جـ ١ ص ١٤.

(٣) ياقوت: معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٩٨.